قصة لويس ده رجون

(تابع ما قبلهُ)

لما دنا القارب مني تبيَّنتهُ فاذا هو رَمَث[1] كبير والذين عليهِ نيام لا يبدون حراكاً وقد احاطت بهم كلاب البحر تحاول افتراسهم فاخذتني الشفقة عليهم ولم استطع ان امنع نفسي عن النزول الى الماء والإسراع اليهم خوضاً او سباحةً فزجرت كلبي لكي لا يتبعني خوفاً عليهِ من كلاب البحر واخذت الجذاف بيدي وجعلتُ اضرب الماء بهِ واصيح باعلى صوتي فذعرت كلاب البحر وابعدت عن الرمث فدنوت منهُ ودفعتهُ امامي الى البر . ثم حاولتُ ايقاظ الذين فيهِ وهم رجل وامرأة وولدان فلم يستيقظوا ولم يكونوا اموانًا بل كانوا خائري القوى كمن أُغمي عليهِ لشدَّة العطش فحملتهم الى البر واحدًا واحدًا وحاولتُ وضع الماء في افواههم فلم يستطيعوا شربهُ فبللتُ قطعًا من الشراع بالماء ولففتُ ابدانهم بها لكي تمتصهُ وجعلت افركها بكل جهدي وبعد نحو ساعتين او ثلاث افاق الولدان ثم الرجل واخيرًا افاقت المرأة . فسقيتهم الماء رويدًا رويدًا وكأنهم لم يكونوا شاعرين بما اصابهم فما فتحوا عيونهم ورأوني دُهشوا اشدَّ الدهشة وابتعدوا عني ولا ادري ماذا خيَّل لهم حينئذٍ . وقدَّمت لهم طعامًا وابعدت عنهم فأكلوا وطابت نفوسهم وبعد قليل الفوا منظري وصاروا يقتربون مني غير خائفين ثم اخذوا ينظرون الى ما سيفي كوخي وقد ادهشهم كل ما رأوهُ فيهِ كأنهم لم يروا شيئًا مثلهُ قبلاً . وكانت المرأة اولهم في زوال الخوف مني اما زوجها فبقي ينظر اليَّ نظر المستريب حتى بلغنا بلادهُ على ما سيجيء . وكان قبيح المنظر عبوسًا شكس الاخلاق بقي معي في تلك الجزيرة ستة اشهر ولم اثق بهِ يومًا واحدًا ولا سمحتُ لهُ ان يحمل شيئًا من السلحي خوفًا منهُ وبالضد من ذلك زوجتهُ فانها كانت على غاية من الذكاء والانس وطلاقة الوجه

ولما زال خوفهم مني مضيت بهم الى حيث كان قاربي فلما وقع نظرهم عليهِ تولتهم الحيرة واشاروا اليَّ بما معناهُ انني اتيت من بلاد بعيدة بهذا القارب وثبت لهم حينئذٍ انني من عالم آخر غير عالمهم . ثم اريتهم حطام السفينة وكانت اضلاعًا قائمة في الماء وحاولت ان اصفها لهم كما كانت قبل ان تحطَّمت فلم يظهر عليهم انهم ادركوا شيئًا من وصفي

ثم عدت الى القارب ولبست ثيابي وكنت قبلاً عاريًا مثلهم ليس عليَّ الاَّ مئزر قصير فلما

(١) الرمث خشب يضمُّ بعضهُ الى بعض ويركب في البحر

رأوني بثيابي فظنوا انها جلد آخر لي او اني تقمّصت في صورة اخرى فعادوا الى دهشتهم الاولى وابتعدوا عني كلهم مخلعتها ولم اعُد احاول ان ازيد دهشتهم

وكانوا يقيمون في الفضاء بجانب كوخي ليقيهم من الريح ويضرمون النار عند ارجلهم والظاهر ان هذه عادتهم في بلادهم وعرضت عليهم لحومهنّ وقطعًا من شراع السفينة ليتذوقوا بها فلم يريدوا ان يتذوقوا . وكانت المرأة تنهض في الصباح وتهيئ لهم الطعام من السمك وبيض الطيور والسلاحف. ومضى على كلبي ايام كثيرة قبل ان ألفهم لانهم كانوا يذعرون كلما نبح

وكنت اسلي نفسي احيانًا بالالعاب الرياضية كالوثب والتقلب في الهواء والمشي على اليدين فدهش الرجل بذلك اكثر من زوجته واولاده وحاول هو وهم التمثّل بي فلم يستطيعوا ووقع هو مرةً وكاد يدقّ عنقهُ

ولم تمضِ مدة طويلة حتى تعلمت شيئًا من لغتهم وتعلمت المرأة شيئًا من لغتي ايضًا واخبرتني بكثير من عادات اهالي استراليا الاصليين وفهمت منها انهُ لما انقذتهم كانت العاصفة قد ابعدتهم عن بلادهم ولم يكن معهم طعام ولا شراب فاغمي عليهم من شدّة العطش

وكان في كوخي مرآة صغيرة واتفق ان المرأة (واسمها يبا) التفتت اليها ذات يوم فرأت صورتها فيها فذعرت شديدًا وخلت تفتش عن الشخص الذي رأتهُ ولما لم تجد احدًا هربت من الكوخ وهي تصيح لكنها عادت بعد حين ونظرت الى المرآة ثانية وكأنها ادركت حينئذٍ انها انما ترى فيها صورتها كما تراها في الماء فصارت تأتي وتقف امامها ساعة كاملة وهي تتمعن في صورة وجهها . اما زوجها فانها لما ارتهُ المرآة زعق باعلى صوته وهرب الى اقصى الجزيرة ولم يعد يتجاسر ان ينظر اليها كانهُ حسب ان فيها شخصًا حقيقيًا مناظرًا لهُ . واما الولدان فزالت دهشتهما حالاً بعد ان رأياها اول مرة وصارت مسرّتهما العظمى النظر فيها . وكنت اشكر الله كلما رأيت هذه العائلة معي مهما تباينت اطوار اعضائها لانهُ لا انس في البعد عن الناس

واشارت يبا (اسم المرأة) ذات ليلة الى نجم كبير وهو يتوارى في الافق واخبرتني ان بلادهم هناك وانها لا تبعد عنا كثيرًا وقال لي زوجها انهُ عازم على ركوب الرمث الذي جاؤوا فيهِ والعودة الى بلادهم فرأيت ان احاول العودة معهم ونزلت انا وهو وزوجتهُ الى قارب لي وكان لم يزل حيث انزلتهُ وكنت تعهدهُ من وقت الى آخر انظف قاعهُ مما يلتصق بهِ من اعشاب البحر فامسكنا بهِ نحن الثلاثة واخرجناهُ من الماء وجررناهُ الى جانب آخر من الجزيرة وانزلناهُ حيث البحر مفتوح ولا صخور مرجانية تصد سيرهُ فيهِ . وظن الرجل اننا تركناهُ حالاً

ونسير فيهِ اما انا فافهمتهُ ان لا بدَّ لنا من اعداد الزاد الكثير ولا بدَّ ايضاً من ان ننتظر انقلاب الريح حتى لا تكون ضدنا

وانتحنا القارب مراراً قبلما سرنا فيهِ واتيت اليهِ بكل ما عندي من الطعام والشراب وبكل ما احسبهُ لازماً من الاحرمة والمسامير والقار ونصبت فيهِ دقلاً كبيراً علقت بهِ شراعاً كنت امسك طرفهُ بيدي

ولما مضت على ضيوفي ستة اشهر في جزيرتي ركبت بهم القارب وهم يرقصون و يطفرون فرحاً . ولم اخرب كوخي ولا تغاضيت عن صندوق اللؤلؤ بل طمرتهُ في طرف الجزيرة ولم يزل هناك حتى الآن وفيهِ جواهر لا تثمن . وكنت قد زدت صحة وقوة وسمناً لكثرة ما اكلت من لحم السلاحف

وفي اواخر شهر مايو في منتصف السنة الثالثة من نزولي على هذه الجزيرة نشرت شراع قاربي وسلمتُ امري الى العناية الالهية واثقاً انها كفلت لي النجاة . ولم يكد القارب يخوض عباب الماء حتى طابت نفوس رفاقي وكاد القارب ينقلب بنا من كثرة حركاتهم فزجرتهم ومنعتهم من الحركة فسكنوا في اماكنهم كالصخور

وكانت الريح نسيماً حاراً فسارت بالقارب سيراً حثيثاً وغابت الجزيرة عن ابصارنا سريعاً وكان البحر رهواً والهواء منعشاً فطابت نفوسنا وجلست بيما الى جانبي وكنا نتراوح مسك الدفة واما زوجها فجلس امامنا وكاد لا يبقي على شيء من زادنا لانهُ كان اكولاً نهماً وكأننا كنا نقصد ارضاً تفيض لبناً وعسلاً

وفي اليوم الخامس من سفرنا شاهدنا جزيرة صغيرة فدنونا منها ونزلنا عليها لكي نمدّد ارجلنا لانها كانت قد يبست من القعود . ولم يكن في الجزيرة ساكن ولكنها كانت مغطاة بالاشجار والاعشاب الغناء فراقني منظرها بعد تلك الرمال القاحلة التي اقمت عليها نحو ثلاث سنوات . فطبخنا قليلاً من لحم السلاحف واكلنا وقنا واسترحنا ثم عدنا الى القارب واستأنفنا السير يوماً بعد يوم وليلة بعد ليلة الى اليوم العاشر وحينئذٍ قبضت بيما على يدي وقالت والفرح ملء وجهها قد وصلنا الى بلادنا فانتصبت على قدميَّ ونظرت واذا برٌّ واسع امامي ولكننا لم نسر اليهِ بل سرنا الى جزيرة صغيرة سيئة مدخل خليج كبير فنزلنا عليها وجمعت بيما وزوجها الحطب الاخضر واضرما فيهِ النار بحك عيدان بعضها ببعض فارتفع دخانها علامة لسكان البر ليعلموا بقدومنا ولم يكن الاَّ قليل حتى علا الدخان من جهات مختلفة في البر اجابة لنا ثم اقبل نحونا ثلاثة ارماث ثقلٌ كثيرين من السكان وخطر لي حينئذٍ اني في قبضة يدهم ولا

بعد ان يقتلوني ويأكلوا لحمي لانني فهمت من بيا ان اهلها من اكلة لحوم الناس . لكن هذا الخاطر زال بلمي سريعاً اذ تذكرت الصوت الذي ناداني وقال لي "اني منقذك فلا تخف" ووصل الذين في الارمات فقابلهم زوج بيا اولاً فجثوا القرفصاء بعيدين عنه وجلس هو امامهم ثم جعلوا يدنون منهُ ويبتعدون منهم الى ان وصل اليهم فعانقهم واحداً واحداً يوضع انفهِ على اكتافهم ووضع انوفهم على كتفيهِ وهي طريقة التحية عندهم. ثم اتى بهم اليَّ وعرَّفهم بي فحيتهم كما حياهم . وقد ذعروا مني اولاً لكنهُ اوضح لهم اني لستُ روحاً من ارواح الموتى بل رجل مثلهم وصديق لهُ ولهم . وكانت الشمس قد لوَّحت جسمي وسوَّدت جلدي ولكن بقي الفرق كبيراً بيني وبينهم فجعلوا يلمسون بدني ويعجبون بهِ. ثم اضرموا نيراناً كثيرة علامة لقومهم وشرحت لي بيا معناها فظهر لي انهم يتخاطبون بها تخاطباً عن بُعد كما يتخاطب التجارة بالاعلام. وكانت قد علمتني لغة قومها فصرت اتكلمها ببعض السهولة وافهم ما يكلموني بهِ

وارتفع الدخان من اماكن كثيرة في البر يدعو بطون القبيلة الى الاجتماع للقائنا وكنا قد حملنا معنا ثلاث سلاحف كبيرة اكلنا اثنتين منها في الطريق وبقيت الثالثة فطبختها بيا لكي نقري بها الرجال الذين جاؤوا للقائنا فالتهموها التهاماً ولما فرغوا من الاكل قلت لهم اني متعب جداً ولا بدَّ لي من الراحة وتنحيت عنهم ونمت

وقمنا في الصباح وسرنا نحو البر واذا بجماهير لا تحصى من الرجال والنساء والاولاد وكلهم عراة حفاة حاسرون وقد وقفوا على الشاطئ يتنظرون قدومنا . ولم يكد القارب يصل الى البر حتى وثبوا اليهِ وجعلوا يقبلون ما فيهِ ويعجبون ويجلبون واخيراً اقبل اليَّ الرجال الذين لاقوني وساروا بي معجبين بانفسهم كأنهم اتوا قومهم بغنيمة فاخرة الى ان بلغنا محلتهم وهي ستر صغيرة من اغصان الاشجار يقيونها و يستذرون بها من عصف الرياح او اكواخ مستديرة كقفران النحل . وسألوني عما اذا كنت اختار السكن في سترة او في كوخ ففضلت الكوخ على السترة والحال شرعت بيا وبعض النساء يبنين لي كوخاً فبنينهُ في اقل من ساعة . وطافوا بي في محلتهم كلها واروني اكواخهم ومظلاتهم وسائر مقتنياتهم وكنت كيفما سرت اقابَل بالترحيب . وكنت لابساً مئزراً من الحرير الاحمر فكانوا ينظرون اليهِ متدهشين وزادت دهشتهم لما رأوا آثار قدميَّ لان الاثر مثل القدم واما قدمهم فلا ينطبع منها الاَّ اصابعها وجانب من اخمصها . وابعد عني زوج بيا بعد ما وصلنا الى البر كأنهُ علا في عيني قومهِ علوّاً كبيراً فاعجب بنفسهِ ولم يعُد يحفل بزوجتهِ

وكنت حيثما اتجهُ يقابلني الناس بالاطعمة من لحم الضفدع والابسُّم والجرذان والحيَّات

والاسماك والديدان . وقد وجدتُ لحم الحيات صالحاً للاكل ولكنني لم استطبهُ بغير ملح . وطريقتهم في صنع اللحم بسيطة جداً . يحفرون حفرة في الارض ويضعون اللحم فيها ويغطونهُ بالرمل ثم بالحصى ويضرمون عليها النار فتحمى وينضج اللحم تحتها

والنساء يطبخن الطعام ويصطدن لهُ الجرذان ويجمعن البيض والجذور . والجذور التي يجمعنها كثيرة الانواع وبعضها كالبطاطا الحلوة وهو جذر نوع من زنبق الماء . ومن اعمالهنَّ طلي ايدان رجالهنَّ بالطين المخلف الالوان تزييناً لهم ودفعاً لحرارة الشمس ولسع البعوض

والغالب ان يكون الماء عزيزاً بقرب محلتهم ولكن اذا نضب رحلوا الى حيث يجدونهُ ولو على مئة ميل من مكانهم الاوَّل ولهم في استنباطهِ مهارة عجيبة فقد يجدون ينابيعهُ تنبع من شاطئ البحر بعد انحسار الماء عنهُ بالزجر

ولم يجسر احد منهم ان يدخل قاربي او يختلس شيئاً من امتعتي لان بيا نصبت امامهُ عودين في شكل صليب فهابوهُ ولم يعد احد يحاول الدنو منهُ

وحدث بعد يومين من وصولي الى هناك حادث في حد الغرابة وهو اني كنت واقفاً امام قاربي افكّر في تقلّبات الدهر ونوائب الايام واذا بشيخين كبيرين اقتربا مني ومعهما فتاة حسناء بالنسبة الى الاستراليين ووراءهما جمع غفير ولما مارا على بضع اقدامٍ مني تقدَّم احدهما وقدم لي نبوتاً كبيراً من ينابيعهم واشار اليَّ لاضرب به رأس الفتاة فارتعدت فرائصي لانهُ خطر ببالي حينئذٍ ان القوم من أكلة لحوم الناس وانهُ يريد ان اقتل هذه الفتاة لآكل لحمها معهم . ورأيت ان لا بدَّ لي من رفض ما طلب مني ولو آل ذلك الى قتلي . ووقف الشيخ امامي والنبوت في يدهِ وهو يتفرس في وجهي وكأنهُ يستغرب امتناعي عن اخذ النبوت منهُ ونظرت الى الفتاة فرأيتها باسمة متهللة وظهر لي ان سنها لا يزيد على خمس عشرة سنة فاوهمتني طلاقة وجهها ورأيت ان اشرح للشيخين قبح اكل الآدميين فاشرت اليهما ليجلسا فجلسا مكرهين ثم اخذت اكلمهما بكل ما يمكنني من الالفاظ والاشارات وابين لهما ان عقيدتي تحرّم عليَّ قتل الناس واكل لحمهم وان الروح العظيم الذي يعبدونهُ قد اوحى اليَّ ان قتل الناس على هذه الصورة مكروه لديهِ . قلت ذلك ووقفت انتظر الجواب واذا بالجمع كلهُ قد قهقه ضاحكاً عليَّ وكانت بيا واقفةً بينهم فرأيت حيرتي وادركت ما كان يخامر ذهني وكانت تجبني حباً لا مزيد عليهِ وتنبذني بنفسها فاسرعت اليَّ وافهمتني مرادهم من تقديم هذه الفتاة وهو انهم يريدون ان يزوجوني بها وان رسم الزواج عندهم يكون بمس رأسها بالنبوت فتخرّ عند رجليَّ علامة الخضوع لي وان لا بدَّ من قبول طلبهم . فاخذت النبوت من الشيخ ومسست بهِ رأس الفتاة فخرت عند رجليَّ

فانهضتها بيدي ولتحال اخذ الحضور يرقصون حولي ويظهرون لي سرورهم وبهجتهم . ولم تفرّ بيا من الفتاة بل سرّت مثلهم ثم سارت بها الى الكوخ الذي بقتهُ لي . واحتفل الناس بي تلك الليلة بالغناء والرقص والطرب فاقمت معهم اشاركهم في افراحهم الى ان لبلج وجه الصباح . وقد ظهر لي انهم كانوا يزيدون لي اكراماً يوماً بعد يوم بما تقدمهم به بيا من طوعي لي فلم ارَ لي بدًّا من ابقائها معي ولاسيما لانني كنت ارى من افعالها انها تحبني حبًّا يقرب من العبادة فذهبتُ في اليوم التالي الى حيث كان زوجها وعرضتُ عليهِ زوجتي الجديدة بدلاً منها . والمقايضة بالزوجات شائعة عندهم تمام الشيوع . فسرَّ بذلك سروراً عظيماً واعطاني بيا زوجة لي واخذ الفتاة بدلاً منها وكان عمر بيا حينئذٍ نحو ثلاثين سنة وهو السن الذي تظهر فيهِ علامات الشيخوخة في نساء تلك البلاد ولكنها كانت على جانب عظيم من النشاط والذكاء وعلى معرفة تامة باحوال بلادها كما سيجيء

ولم انسَ كتبي الامين لاني رأيت في البلاد كلاباً كثيرة خفت عليهِ منها لكنهُ عرف كيف يملك بينها ولو نالهُ منها بعض الاذى في اول الامر

ولم يكن في نيتي الاقامة هناك مدى العمر بل عزمت ان اتقن لغة البلاد واعرف عادات اهلها حتى يسهل عليَّ السفر فيها لعلي اصل الى مكان يمكنهُ الاوربيون اذا لم يمكني السفر بحرًا . وكنت اقوم كل يوم مع الشمس وارقب البحر لعلي اجد سفينة مارَّة فيهِ ثم اغتسل في مائهِ واجري على الشاطئ حتى يجف بدني . وتنهض بيا صباحاً وتذهب تفتش عن الجذور وقلما تعود الاَّ ومعها شيء من جذر زنبق الماء المذكور آنفاً . وكثيراً ما كانت تمشي اميالاً عديدة لكي تأتيني بنبات قلتُ اني استطيبهُ . والناس هناك ياكلون مرتين في النهار وطعامهم الغالب لحم القنفر والاسُّو والابسُّم [1] والحيات والجرذان والسمك ونوع من الديدان يوجد في شجر الاقا الاسود وفي الاجذاع النخرة وهم يشوونهُ على الرضف ويأكلونهُ وقد اكلتهُ مثلهم فاستطبتهُ . ويذهب النساء صباحاً يتتلعن الجذور للفطور ثم يذهبن بعد الفطور لاقتلاع الجذور وصيد الطيور ونحوها للعشاء وهذا عملهنَّ الدائم يوماً بعد يوم اما الرجال فيغدون للغزو او للتمرُّن على استعمال الاسلحة . ولا عمل للاولاد غير التمرُّن على رمي القضب بدل الرماح . وكانت بيا تلفُّ طعامي باوراق الاشجار قبل طبخهِ وتبذل جهدها في اتحافي باطعمة جديدة . ورأى الناس انني استطيب الطيور والبيض فكانوا يهادونني بها من اقصى البلاد . وزاد اعجابهم بي حتى

(١) القنفر حيوان شكله كشكل الجرذ او اليربوع لكنهُ يبلغ الغنم جرمًا . والاسو طائر كالنعامة لكنهُ قدر نصفها جرمًا . والابسم حيوان صغير كالنمس

صاروا يجتمعون ويتغنون بمدحي كل ليلة . ولم أكن رافقهم اولاً في الغزو والصيد خوفاً من ان يتخذوا بي لانني لم أكن اعرف لغتهم جيداً ولا كنت ماهراً مثلهم في استعمال اسلحتهم غير انني بذلت جهدي في تعلم لغتهم وفي اتقان الاعمال التي يعملونها حتى أبقى متسلطاً عليهم

قلت ان عمل الرجال توحيد الغزو والتمرن على استعمال الاسلحة ولهم عمل آخر وهو الغناء والرقص والطرب ولا سيما بعد العود من الغزو فيضرمون ناراً كبيرة يجلسون حولها ويبدأون الحفلة او المهرجان باكل لحوم القتلى من اعدائهم ثم يغنون ويرقصون الى قرب الفجر فينامون حيث هم ويقومون ظهر اليوم التالي للاكل والشرب والغناء والرقص ويدومون على ذلك اياماً متوالية . ويضع شيوخهم ريش الطيور حول رؤوسهم ويخططون ابدانهم بخطوط حمراء وصفراء وقد يقضي الشيخ ساعتين في تخطيط بدن تخططهُ لهُ زوجتهُ بانواع من الاتربة تعدُّها لهذه الغاية كما تقدم والغانيهم ينظمها لهم شاعر القبيلة فيحفظونها غيباً ويتناشدونها

والرجال منهم طوال القامة اقوياء الابدان ولهم طاقة عجيبة على المشي فيمشون اياماً متوالية ولا يتعبون . والنساء اصغر من الرجال قدّاً واضعف بنية وهنَّ يعملن كل الاعمال الشاقة يبنين الاكواخ ويجمعن الطعام ويطبخنهُ ويخدمن ازواجهنَّ ولا يساعدهنَّ الرجال الاَّ في صيد الاسماك والوحوش فيخوضون الماء ويصطادون السمك رشقاً بالرماح . والغالب انهم يفعلون ذلك جماعات جماعات . او يحرقون الغابات حتى تفر الوحوش منها ثم يرشقونها بالمزاريق ويتبعهم النساء وقت الصيد والقنص يحملن ما يصطادونهُ . وقد يصطادون السمك على اسلوب آخر وهو انهم يقيمون لهُ حظيرة على الشاطىء لها فتحة صغيرة فيدخلها الماء والسمك وقت المد ثم يسدون فتحتها حتى اذا جزر البحر بقي السمك فيها فينزلون اليها ويصطادونهُ منها رشقاً بالرماح

ولهم في صيد القنقر مهارة يعجز القلم عن وصفها فيقتفي الواحد منهم آثار قنقر اميالاً كثيرة والآثار خفية لا يراها احد غيرهم فاذا درى به القنقر بشم رائحته او سمعهِ صوت حركته وقف (الرجل) جامداً كالصنم وقد يبقى كذلك ساعات متوالية ثم يخلس خطاهُ الى ان يصير على اربعين او خمسين خطوةً من القنقر فيرشقهُ برمحهِ ولا يخطئهُ . ولم اسمع قط مدة اقامتي بينهم ان احداً منهم رمى قنقراً فاخطأهُ . واسنَّة رماحهم من العظم او الحجر لا غير

ويصطادون طائر الامو على هذه الصورة يبني الصائد قترة بجانب الماء ويقيم فيها حتى اذا ورد الامو رشقهُ برمحهِ . واكبر امو رأيتهُ علوهُ ست اقدام واكبر قنقر رأيتهُ اعلى من ذلك . ويقتلون الافاعي بالعصي ويصطادون الطيور الطائرة بالمزمار

والغالب انهم لا يدخرون من الطعام الاَّ ما يكفيهم يوماً او يومين اما اذا غزوا واقتنوا

في الاعداء فقد يكفيهم الطعام من لحم القتلى اسبوعاً او اكثر ويبقى المهرجان حينئذٍ الى ان ينفد اللحم كلهُ

وكان معي فاس وحربة كنت اصيد بهما وكان السكان يعجبون من حديدهما لانهم لم يكونوا قد رأوا اسلحة من المعادن . وبنيت كوخاً كبيراً وجعلت اصيد الغنمة بالحربة واقدد لحمها واذخرهُ فيه لكي يكون عندي زاد كاف للسفر اذا حانت لي الفرصة للخروج من تلك البلاد . وكان الكوخ بعيداً عن مساكنهم طولهُ نحو عشرين قدماً في مثلها عرضاً وارتفاع سقفهِ نحو عشر اقدام وبنيت فيهِ موقدة للنار وكانت بيتاً تعتني بها دائماً لكي لا تنطفئ . والسكان كلهم يحتفظون بنيرانهم دائماً واذا انطفأت نار رجل لاذ برجل فاوس لزوجته ثم الوبل لان حفظ النيران موكول الى النساء . واذا ضرب رجل زوجتهُ وقفت امامهُ صامتة وتوسلت اليه بلثمها . ومن الغريب ان جراحهم تلتئم وتشفى حالاً وهم لا يؤسونها الاَّ بطليها بنوع من الطين واوراق الاشجار

وعلى ذكر الشفاء اقول ان عندهم اطباء يعالجون بالدلك فيدلكون جسم المريض بصدفة كبيرة . وامراضهم قليلة فلا يصابون الاَّ بالتخمة بعد الاكل اكثير وحينئذٍ يدلك الطبيب بطن المريض دلكاً شديداً ثم يطعمهُ نوعاً من النبات لتسهيل . وهم نهمون جداً وقد شاهدت واحداً منهم اكل قنقراً كاملاً دفعة واحدة ستأتي البقية

عود الى علاج السل

خلصنا في الجزء الماضي والذي قبلهُ ما قالهُ احد المسئولين الذين شفوا بالطعام والراحة والهواء النقي وما اعترض بهِ عليهِ الدكتور كوغيل احد كبار الاطباء وقلنا هناك ان الاعتراض يشبه ان يكون تأييداً لما قالهُ المسئول الذي شفي . وقد ردَّ هذا الرجل على الطبيب في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية الذي جاءنا بعد صدور المقتطف فقال ان الدكتور كوغيل أيَّد كل ما قلتهُ بنوع عام . وما قالهُ عن معالجة اعراض السل كالحمى وعرق الليل والسعال ونزف الدم وسوء الهضم وما اشبه لا يعترض بهِ على ما قلتهُ لان كلامي كان على علاج السل نفسهِ لا على علاج اعراضهِ غير ان الراحة التامة في الفراش من افضل الوسائل لتخفيض الحرارة وتقليل عرق الليل . وكذلك السعال الشديد ونزف الدم يزولان بالراحة التامة وسوء الهضم يزول بتدبير الغذاء وزيادة التغذية